محاضرة حول: مناهج البحث العلمي

يقصد بالمنهج الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة موضوع ما، ويعرف المنهج العلمي بأنه:" أسلوب للتفكير والعمل، يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها، للوصول الى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة." كما يعرف أيضا بأنه:" الأسلوب الذي يستخدمه الباحث في دراسة ظاهرة معينة، والذي من خلاله يتم تنظيم الأفكار المتنوعة، بطريقة تمكنه من علاج مشكلة البحث."

وعليه فان منهج البحث:

- ✓ هو مجموعة من القواعد العامة، التي يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار ومعلومات، من أجل توصله الى النتيجة المطلوبة.
- ✓ يقتصر على أسلوب واحد واضح ومميز، وقد يشتمل على مجموعة من الأساليب ذات الخصائص المتشابهة.
- ✓ يرتبط تحديد المنهج العلمي، بحسب المشكلة المطروحة في البحث.

ومن بين مناهج البحث العلمي المستخدمة في مجال العلوم القانونية، مايلي:

أولا: المنهج التاريخي.

يعرف المنهج التاريخي بأنه:" ذلك المنهج الذي يصف ويسجل ما مــضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس منهجية دقيقة، بقصد التوصل الى حقائق ومعلومات". كما يعرف أيضا على أنه:" عملية عقلية تجري في الحاضر، حول أحداث ماضية لا سبيل الى استرجاعها، الا بطريقة ذهنية".

فالمنهج التاريخي اذن، عملية عقلية تدور حول دراسة تاريخ الانسان، وفهم طريقة تفكير الماضين ومعاشهم وعلاقاتهم، وما تخضع له الأحداث الماضية من قوانين، وتفاعلات، وأسباب، ونتائج تلك الاحداث واستخراج العبر والقواعد والنظريات، لتطبق في حياة الافراد والمجتمعات مستقبلا.

كما أنه مجموعة من التقنيات، التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ، للوصول الى الحقيقة التاريخية واعادة بناء الماضي بكل دقائقه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه، وهذه التقنيات قابلة دوما للتطور والتكامل، مع تطور المعرفة الانسانية وتكاملها، ونهج اكتسابها.

ويعتبر المنهج التاريخي من المناهج الأساسية الأصلية في الدراسات التاريخية، لتفسير أحداث الماضي وظواهر التاريخ الواقعي العقلي والاجتماعي، فهو يقدم الطريقة العلمية والقواعد والإجراءات الدقيقة لإعادة بناء الأحداث، ودراستها وتحليلها واكتشاف حقائقها، والتفاعلات التي كانت سببا للأحداث، وما ينتج عن هذه التفاعلات من نتائج.

إنه منهج دراسة كافة الظواهر التاريخية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقلية... وغيرهـــا مثل الأنظمة السياسية والديانات، والتيارات الفكرية والعقلية، وأنظمة الإنتاج والتوزيع، والإدارة والمالية والمذاهب الفلسفية والأدبية، فيدرس أصولها وقرائنها ونظرياتها، وما ينتج عنه، وتقديمه في شكل حصيلة للأجيال الحاضرة والمستقبلية.

فالمنهج التاريخي هو المنهج الوحيد، الذي يحافظ على ذاكرة الإنسان، حاضرة لدى الأجيال على مر العصور، فيرتبط الإنسان بماضي أجداده، ومستقبل أبنائه وأحفاده، وذلك بطريقة علمية بحصر جميع مصادر المعرفة التاريخية الصحيحة، ودراستها وتحليلها وتركيبها وتفسيرها، لفهم الماضي والاستفادة منه وتحليل المجتمعات القديمة، وتفسير وإبراز حقائقها، وعاداتها وتقاليدها وأصولها والمؤثرات فيها، وأسباب قيام الأنظمة والدول وزوالها.

وللمنهج التاريخي خصائص يتميز بها، من بينها مايلي:

- ❖ أن المنهج التاريخي مجموعة من الطرق والقواعد والإجراءات، التي يعتمدها الباحث التاريخي في إعادة استرجاع الأحداث الماضية، للوصول إلى الحقيقة التاريخية.
- ❖ يهتم المنهج التاريخي بدراسة ظواهر حدثت في الماضي، حيث يتم تفسيرها بهدف الوقوف على مضامينها والتعلم منها، ومعرفة مدى تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات، واستخلاص العبر منها.
- ❖ إعادة بناء الحدث التاريخي بكل تفاصيله، كما كان عليه في زمانه ومكانه وتفاعلاته.
- ❖ يدرس المؤرخ أو الكاتب التاريخي كل ما له علاقة بالحدث، سواء كانت أقوالا أو أفعالا أو وثائق مكتوبة .....
- ❖ يمكن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة، على ضوء خبرات الماضي.
- ❖ المنهج التاريخي منهج علمي عقلي واقعي، لأن موضوعه الأحداث التاريخية في زمانها ومكانها وتفاعلاتها داخل المجتمع، لذلك فإن قواعده وتقنياته قابلة للتطور، والاستفادة من المعرفة العلمية ومناهجها.

❖ أن المنهج التاريخي ينطلق من تحديد الأحداث التاريخية المطروحة للبحث والتحقيق والنقد، وذلك من خلال تحديد المشكلة التاريخية المراد بحثها.

ان المنهج التاريخي يقتضي المرور بالمراحل التالية:

- تحديد الحدث أو المرحلة أو المشكل التاريخي المراد بحثه.
- جمع المعلومات والوثائق والدراسات المتعلقة بالموضوع.
- القيام بالنقد الخارجي للوثائق، ويعني نقد أصالتها أي تحديد أصل الوثيقة وقيمتها التاريخية.
- النقد الداخلي للوثائق، وهو دراسة وتحليل المادة التاريخية التي احتوتها الوثيقة، للتأكد من أصالة الأحداث التي ترويها.
- تركيب الأحداث التاريخية، والذي يكون بـ:

✓ تكوين صورة دقيقة واضحة، لكل الحقائق المتحصل عليها، لدى الباحث أو المؤرخ.
✓ تنظيم وترتيب وتصنيف المعلومات، حسب الفئات ومقتضيات منطق تسلسل الأحداث.
✓ استنتاج تسلسل منطقي واقعي للأحداث، بإبعاد ما لم تكن له علاقة بالحادث الأصلي، أو إلحاق ماله رابطة وعلاقة منطقية من خارج الحدث بموضوع البحث.
✓ ربط الحقائق التاريخية، عن طريق التعليل بعلاقات حتمية وسببية تربطها فيما بينها.

ثانيا: المنهج المقارن

المنهج المقارن هو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة، حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف بين الظاهرتين.

فهو اذن تلك الخطوات التي يتبعها الباحث في مقارنته للظواهر محل البحث والدراسة، قصد معرفة العناصر التي تتحكم في أوجه التشابه والاختلاف في تلك الظواهر.

ولقد ظهر القانون المقارن كميدان من ميادين البحث والدراسة، وكعلم قائم بذاته، وأصبح موضوعا من موضوعات الدراسة القانونية، يستخدم في دراسة وتفسير مختلف فروع القانون. ذلك أن معظم الدول المتخلفة والتي كانت المستعمرة، أو حتى المتقدمة، قد تبنت قوانين بعض الدول الأخرى، وهذا بعد دراسة ومقارنة قوانين بصفة نظرية، أو بناء على تجارب تطبيق تلك القوانين في بيئتها الأصلية، من حيث كفاءتها في تنظيم المجالات التي تحكمها، أو من خلال نجاحها في تحقيق الأهداف التي سنت من أجلها.....

كما يستخدم المنهج المقارن في دراسة السياسات التشريعية للدول، بحيث تتم المقارنة مثلا بين الفكر القانوني الفرنسي (تشريعا وفقها وقضاء)، مع الفكر القانوني المصري، لأن الفكرين القانونيين الفرنسي والمصري، من أهم الأفكار التي يجب على الباحث القانوني الجزائري الاستفادة منهما.

وفقا لهذا المنهج يقارن مثلا: بين النظام الإداري لدولة (أ)، بالنظام الإداري للدولة (ب)، من خلال توضيح الجوانب السياسية والإدارية للدولتين، ثم التوصل إلى أوجه الشبه، وأوجه الاختلاف بين السياستين الإداريتين، وإمكانية الاستفادة من أوجه الشبه والاختلاف في رسم السياسة الإدارية المستقبلية.....

ثالثا: المنهج الوصفي

يعرف المنهج الوصفي، بأنه:" طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته، من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل اليها، على اشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها."

وهناك من يعرفه بأنه:" محاولة الوصول الى المعرفة الدقيقة والتفصيلية لعناصر مشكلة او ظاهرة قائمة، للوصول الى فهم أفضل وأدق، أو وضع السياسات والإجراءات المستقبلية الخاصة بها."

وعليه فالمنهج الوصفي يتميز بما يلي:

- ✓ يساعد على إعطاء معلومات حقيقية دقيقة، تساعد في تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية.
- ✓ اتساع نطاق استخداماته، لتعدد الأساليب المتاحة امام الباحث عند استخدامه، مثل أسلوب المسح أو دراسة الحالة أو تحليل المضمون.
- ✓ يقدم المنهج الوصفي توضيحا للعلاقات بين الظواهر، كالعلاقة بين السبب والنتيجة، بما يمكن الانسان من فهم الظواهر بصورة أفضل.
- ✓ يتناول الظواهر كما هي على الواقع، دون تدخل من قبل الباحث في التأثير على مسارها، مما يعطي نتائج أكثر واقعية.

يستخدم المنهج الوصفي في:

- ✓ دراسة حاضر الأوضاع الراهنة، من حيث خصائصها اشكالها وعلاقاتها، والعوامل المؤثرة في ذلك، مع ملاحظة أنه يشمل في كثير من الأحيان على عمليات تنبؤ لمستقبل الظواهر والاحداث التي يدرسها.
- ✓ دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي استخدم فيها منذ نشأته وظهوره.

- ✓ دراسات العلوم الطبيعية لوصف الظواهر الطبيعية المختلفة.
- ✓ رصد ومتابعة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة، أو عدة فترات من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون، والوصول الى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره.

هذا ويستخدم لجمع البيانات والمعلومات في البحوث الوصفية، الأدوات الاتية: الملاحظة، المقابلة الاختبارات، الاستبيانات، تحليل الوثائق والتسجيلات.

ان المنهج الوصفي يستخدم في دراسة معظم الظواهر، فالوصف العلمي لهذه الاخيرة ضرورة لا مناص منها، قبل قيام الباحث بالتعمق في تحليلها والحصول على تقديرات دقيقة لحدوثها، والتعرف على طبيعة علاقاتها.

وتتخذ الدراسات الوصفية أساليب وانماط مختلفة، ومن ابرز هذه الأساليب المستخدمة للبحوث الوصفية ما يلي:

1. **أسلوب المسح (الدراسات المسحية):** ويعتبر واحدا من المناهج الأساسية بل اكثرها شيوعا في البحوث الوصفية.

ويعرف أسلوب المسح بانه:" دراسة شاملة مستعرضة، ومحاولة منظمة لجمع البيانات، وتحليل وتفسير وتقرير الوضع الراهن لموضوع ما، في بيئة محددة ووقت معين." كما يعرف بانه:" ذلك النوع من البحوث الذي يتم بواسطته استجواب جميع افراد مجتمع البحث، او عينة كبيرة منهم، وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها، ودرجة وجودها فقط، دون ان يتجاوز ذلك دراسة العلاقة أو استنتاج الأسباب.

وعليه مما سبق، يتضح الاتي:

- ➢ يقوم الأسلوب المسحي على وصف وتشخيص ظاهرة ما، وجمع البيانات عنها، وتقرير حالتها كما هي في الوقت الراهن، أي ما هو قائم فعلا في جزء من المجتمع.
- ➢ البحث المسحي ينصب على الوقت الحاضر.
- ➢ يهدف البحث المسحي الى الوصول الى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها، وذلك للاستفادة منها مستقبلا.
- ➢ يطبق أسلوب المسح عادة على نطاق جغرافي كبير أو صغير، وقد يكون مسحا شاملا أو بطريق العينة وفي أغلب الأحيان تستخدم فيه عينات كبيرة ،من أجل مساعدة الباحث في الحصول على نتائج دقيقة

- البحث المسحي يدرس الظاهرة كما هي على الواقع، دون تدخل من قبل الباحث للتأثير عليها.

2. **أسلوب دراسة حالة**: يعرف أسلوب دراسة حالة بانه:" أسلوب يقوم على جمع بيانات ومعلومات كثيرة وشاملة عن حالة فردية واحدة او عدد من الحالات، بهدف الوصول الى فهم أعمق للظاهرة المدروسة، وما يشبهها من ظواهر.

وعليه يتضح أن هذا الأسلوب:

- يهتم بدراسة حالة واحدة قائمة، مثل دراسة فرد او اسرة او شركة .....
- تجمع البيانات عن الوضع الحالي للحالة المدروسة، وكذلك عن ماضيها وعلاقاتها، من اجل فهم اعمق وافضل للمجتمع الذي تمثله.